علامـــة العراق

الاستاذ محمد رضا الشبيبي (١)

كنت — ولا أنفك — أنتاب مجمعه ، واختلف إلى مجلسه وأتردد إلى داره . وبيته ببغداد ، مجمع الفضلاء من أحلاف العلم، وأنصار الأدب ، وعشاق الفضل ، وأكابر البلد ، وأشراف الأمة.

كان أبوه (الجواد) رحمة الله عليه — من أعلام الكتاب وفحول الشعراء، تعبر عن مقامه المحمود في صناعة الكتابة مقاماته التي يعنو لها البديع ، ولا يطاولها الحريري ، وتدل على مرتبته العالية في القريض أشعاره التي لا يقاويها القدامى حر لفظ ، ولا يضارعها المحدثون دقيق معنى . وكان أجداده من كبراء العلماء ، وأئمة المحدثين. ولا تزال آثارهم تنم على علو محلهم، وتدل على جلال شأنهم. يذكر اسم الله — تعالى — في مساجدهم ويسبح بحمده في الغـــدو والآصال . وكانت مدارسهم تغص بالمتفقهين ينفرون من كل جانب ، ويفدون من كل فج .

وقد شابه (الرضا) أباه ، وورث أجداده ، إلا أنه أحاط بأقطار الفضل ، وطوف في مناكب العلم ، وجمع الكمال فأوعى. تفقه بالنجف عند طائفة من العلماء ، وأدبه فريق من شيوخ الأدباء . وقد درس المنطق فمد من أفراده ، وأخذ الحكمة فصار من أشياخها ، وتخرج في الفلسفة فكان من أربابها ، وسمع اللغة فقيد أوابدها ، وعقل شواردها ، وهذب ألفاظها . وكتابه (المأنوس) من لغة القاموس أمارة كماله في هذا السبيل .

وأيته حافلا بعلم جم ، وفضل غزير ، وأدب طري ، ومحاسن كثيرة ، وفضائل دثرة (٢) ومناقب عديدة يزينها اثنان : تواضع العلماء ، وأناة الوزراء . وهو شاعر مجيد ، وديوانه المطبوع نبذ مختارة من مجموع كبير ضخم يحتوي على بدائع بدائهه وعيون غرره .

وهو — عند أهل الفضل — مؤرخ العراق — غير منازع — حاول أن يطلع على أخباره ، فوقف على السهم الأوفى ، وأراد أن يصيب آثاره ، فوقع إليه النصيب الأكبر. اطلعت على جزء من مجموعاته الكثيرة القيمة ، وطالعت جملة مما جمع ووضع ، وقرأت طائفة مما ألف وصنف من الكتب التي لو من على التاريخ بنشر شيء منها لكشف الأستاذ عن وجه كثير من أصول التاريخ والأدب .

ومن العجائب أنه عنى بما لا يقع في خلد أحد من الباحثين في زمنه ، المعاصرين له ؛ فلقد أفرد (البيزرة) برسالة مبسوطة ، وعنى باخراج مخطوط قديم قيم فيها . وخص (تاريخ الفلسفة) وأكابر الفلاسفة بكتاب ضخم نفيس ، وعنى (بفلاسفة اليهود في الإسلام) كابن كمونة وابن ملكان . وعالج (أدب البحث والمناظرة) وأثبت في مجموعاته تاريخ البلدان التي هبت ريحها في العلم أو كانت برزة في الأدب ، وأثبت سير رجالها المتبحرين ، وأعيانها الكملة ، وبيوتاتها الجليلة . وعنى بمؤرخ العراق (ابن الفوطي) — المتوفى سنة ٧٢٣ هـ — فأفرد سفراً مبسوطاً مطولا أثبت فيه تاريخ العراق — حينئذ — وضمنه سيرة ابن الفوطي، وإني لأظن الأمر الذي حمل الشبيبي على إخلاد ابن الفوطي ، وإخال السبب الذي جعله معنياً به ، وأحسب أن رأس ما عظمه في عينه ، هو تشابه الرجلين، فهما اللذان أرخا العراق ودونا أخباره ، وتصيدا أنباءه . وقد بر الشبيبي بابن الفوطي فأنفذ الجزء الرابع من كتابه الجليل (مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب) الذي كان نسياً منسياً في (دار الكتب الظاهرية) بالشام ، وحرره وعلق عليه وهذبه ، وأثبت سيرته في رسالة مطولة (١)

ولقد اطلع على كثير من خزائن الكتب العتيقة بالعراق والشام ومصر وأفاد من مخطوطاتها مالا يقوى على تحصيله — اليوم — من وقف نفسه على البحث ونذر للتأليف فرصته . واعتكف في دور العلم وبيوت الأدب ، فأخذ نصيبه منها ، واقتنى كتباً نفيسة ، وجمع أسفاراً مختارة . وعنده خزانة جامعة رائعة تزينها آثاره التي

---

(١) نقلا من كتابي المخطوط المسمى (رجال أعرفهم ويعرفونني) وهو أحد تآليفي التي قوامها نحو من خمسين كتاباً في اللغة والادب والتاريخ والتراجم والنسب . أودعته التعريف بطائفة من أشياخي وفئة من أصدقائي من أكابر العلماء والأدباء في العراق ومصر والشام وغيرها. وضمنته طرفا من محاسن مجالسهم ومستطرف آثارهم .

(٢) دثرة : كثيرة

(١) قرأت على الناس شيئا منها في قاعة (كلية الحقوق) ببغداد ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٠ وطبعت هذه — المحاضرة — ببغداد في ١٦ صفحة

تم على مقدار فضله ، وهي أمارة كماله . وهو جيد الخط مليح الكتابة ، له مشاركة في جميع العلوم والآداب .

لا أزال أزوره وأتردد إلى حضرته وأجتمع معه . فاذا أبطأت عليه عاتبني . ولقد منعني أن أقصد حضرته داء ألم بي ، غادرني رهين الفراش ، وتركني إلف الداء فهاجني شوق إلى مجلسه ، وثورني نزوعي نحو مجمعه ، فارتجلت هذه الأبيات وأنا نهب السقام ، وأوفدتها عليه ضحا ١٤ تشرين الأول من سنة ١٩٤٩ :

مولاي ما اخترت القطيـ	ـمة والرضا أقصى رجائي
لـكن أمنت السخط والـ	أيام تبخـــل باللقاء
وبقيت نضو السقم رهـ	ـن جوى أطارحه عنائي
أتذكر الجمع الحبيـ	ـب فأنتشي وبزول دائي
ويلم بي طيف الخيـــا	ل وإنه خـــير الدواء
يا عهد جمـــع يارعـا	ك الله مزدهر الفناء
عذبت روحي بالبعـــا	د وزرعت قلبي بالتنائي
فأذيل دمـــع صبابة	وهوى يجمجمه (١) حيائي
من لي بأيام الوصـــا	ل كأنها كرهت لقائي
خلفتها وتركت فى	أعطانهـــا قلبي ورائي
ردوا إلى زمان وصـ	ـل كنت أعضه إخائي
وأعيـــد على حديثه	حتى يعاودني شفائي
أفديك يا عهد الأحبـ	ـة هل لعودك من رجاء
إن أنس لا أنس الربو	ع يزينها ثوب البهاء
تتنفس الآداب طيـ	ـبا في مغانيها الوضاء
وتضوع أنفاس الشما	ل وهي تزرى بالكباء (٢)
وتدار راح الفضـــل في	جنباتها النمر الرواء (٣)
يا داره روى ثـــرا	ك على المدى طول البقاء
وسقتك يا ربع الكما	ل من الحيادم الصفاء
تمروسواك النائبـــا	ت وأنت مرتفع البناء

فأعجب بها وطرب إليها ، غير أني قصدته قبل أن ترد على إجابته ، وأقبلت عليه قبل أن يأتيني رده . وما أنس من الأشياء لا أنس قوله يشيد بعلمي وهو قل ويحمد ، أدبي وهو نزر ويطرى بضاعتي وهي مزجاة ، ويثني على زادي وهو قليل : « أتمنى أن توفق البلاد لمكافأتك ، وهل يتاح لها أن تكافىء الأدباء العاملين ؟! »

شارك ـ حفظه الله ـ فى الجهاد (٤) ولا ينفك لسانه العضب يقوم الأود ، ولا تزال كلماته تعدل الزيغ ولا يبرح سناه يهدى درب المجد الأبيض . لم تلهه سياسات البلد عن الاشتغال بالعلم ، ولم يتطربه (٥) تدبير الدولة ، لكنه التفت عن الدنيا وبهجتها ، وهو معروف بالإباء ، شهير بالعفة . وإنه وإن كان ذرف على الستين يعاني ما لا يصبر على الاستقلال به (٦) الشباب ولا يستطيع القيام به من يمتع بعنفوان السن .

بغداد حسين علي محفوظ

(١) يجمجمه : يخفيه (٢) الكباء : عود البخور
(٣) الرواء : جمع ريا

(٤) سنة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م
(٥) تطربه : أطربه (٦) أستقل به : أطاقه

الأدب والفن في أسبوع

عميد الأدباء يتولى وزارة المعارف :

كان لتولية الدكتور طه حسين بك وزارة المعارف موقع خاص فى النفوس ، هو موقع الارتياح والغبطة ، ويرجع ذلك إلى منزلته الممتازة لدى الخاصة والعامة ، لأنه كاتب إنساني ذو رسالة إصلاحية محددة ، فهو فنان ومصلح ، وكلا الصفتين محبوب ، وقد اجتمعتا فيه ، وتفاعل مزجهما فى نفسه ، فصار رجلا أريحيا خيرا ، قويا بالأريحية والخير ، يحس بقوته فيندفع إلى الجرأة والحرية فى كتاباته وتصرفاته .

فلم يكن غريبا أن تعم الفرحة به إذ يتولى الوزارة ، وقد إنهالت عليه بطبيعة الحال — سيـــول التهاني من الجماعات والأفراد ، ولست أرى بدا من ترديد المعنى القديم المكرر ، وهو أن مثل الدكتور طه حسين أو هو بالذات لا يهنأ بمنصب ما ، وإنما يهنأ المنصب به ، وما أبالي إن أديت ما أريد ، أن يكون المعنى معادا أو طريفا ، فقد تعلمنا من العميد الكبير أن نركب التعبير إلى ما نقصد . [لم يكسب الدكتور طه حسين جديدا بتولية